«سورية المدنية»، و«النادي الأدبي النسائي» تكرمان أسرة «حرائر»

كوليت الخوري: عندما تكون المرأة متقدمة يتقدم المجتمع بأكمله وتنتصر البلاد

وائل العدس
تصوير: طارق السعدوني

على مسرح مكتبة الأسد بدمشق، كرمت جمعيتا «سورية المدنية»، و«النادي الأدبي النسائي» أسرة عمل «حرائر» (تأليف عنود الخالد، وإخراج باسل الخطيب، وإنتاج المؤسسة العامة للإنتاج التلفزيوني والإذاعي)، الحائز ذهبيتين في مهرجاني «الغدير» و«القاهرة» كأفضل عمل تاريخي وبيئي.
وضمت قائمة المكرمين كلاً من: ديانا جبور (مدير المؤسسة المنتجة)، وميادة بسيليس (مغنية الشارة)، وسمير كويفاتي (المؤلف الموسيقي)، وتليد الخطيب (مؤلف كلمات الشارة)، وعنود الخالد (مؤلفة العمل)، والممثلين رفيق سبيعي، وأيمن زيدان، وميسون أبو أسعد، ونورا رحال، وحلا رجب، ولمى حكيم، وأمانة والي، وروبين عيسى، وتولين البكري، وغادة بشور، وصبا سبيعي، وخلود عيسى، وروعة شيخاني، ونجاح سفكوني، وأحمد رافع، ومحمود نصر، وعلاء قاسم، ومحمد قنوع، ويحيى بيازي، ونوار رافع، إضافة إلى جهاد خضور (مونتاج ومكساج)، وشامل أميرلاي (المخرج المساعد)، وباسل عبد الله (مدير الإنتاج)، وباسل الخطيب (المخرج).

باسل الخطيب يتوسط المكرِمين

رفيق سبيعي يحيي الجمهور

> ماري لوقا: إلقاء الضوء على تاريخ ومكانة المرأة السورية
> ربا ميرزا: احترام المرأة ودورها الفاعل في المجتمع

التاريخ الحقيقي

أكدت الأديبة كوليت الخوري أن الفن والأدب هما التاريخ الحقيقي للمجتمعات، فالتاريخ يكتبه المنتصرون، والفن هو صورة التاريخ المصور للمجتمعات.
وأوضحت أن المجتمع هو المرأة، لأنها الأم والأخلاق والبيت والأسرة والوطن، وعندما تكون المرأة متقدمة يتقدم المجتمع بأكمله وتنتصر البلاد.

الظرف المناسب

وقالت ماري ورد لوقا ممثلة عن النادي الأدبي النسائي إن «حرائر» ألقى الضوء بامتياز على تاريخ ومكانة المرأة السورية، وجاء في الظرف المناسب ليلقي الضوء أيضاً على زمن الاستعمار البغيض الذي عانت منه سورية تاريخاً وحضارة وأرضاً وشعباً.
وأضافت: كانت ماري عجمي إحدى رائدات الحركة الوطنية والقومية في زمن الاستعمار في بدايات القرن الفائت، وأثبتت حضورها على ساحة المواجهة مع أعداء سورية من خلال إصدارها مجلة «العروس» عام ١٩١٠، فالتف الأدباء حولها وشاركوا في دعمها، وقد كان صدور المجلة الحدث الأبرز في تاريخ صحافة المرأة، ولم يصدر مرجعاً نقابياً في المكتبة العربية إلا وفيه حديث عن عجمي ودورها في النضال الوطني ومشاركتها في نشر الوعي السياسي والاجتماعي والثقافي بين نساء زمانها.

نضال مشبع

أما ربا ميرزا ممثلة عن جمعية سورية المدنية فقالت: انطلاقاً من ثقتنا بدور الفن وقيمة رسالته بدأت فكرة تكريم أسرة مسلسل «حرائر» الذي سلط الضوء على النضال الأخلاقي والثقافي والسياسي بالمجتمع السوري خلال حقبة من الزمن عاشتها سورية تحت الاحتلال العثماني والاستعمار الفرنسي.
وأكدت أن هذا النضال المشبع بالعزة والوطنية والانتماء الذي ترافق مع حراك مجتمعي إيجابي وقفت فيه السيدة السورية إلى جانب الرجل ضد بعض العادات البالية، وهو عمل فيه احترام للمرأة المثقفة المتعلمة وفيه تقدير للدور الفاعل للمرأة البسيطة والواعية والمتمردة على الضغوط الاجتماعية.
وأشارت إلى أن النضال العسكري لن ينجح إن بقي وحده في ميادين القتال والمعارك، بل لا بد أن يقترن بالنضال الفكري الثقافي وأن يواجه الجهل بالعلم والأخلاق.
وختمت: لأن دمشق مدينة مبدعة، وهي الأولى والأولّى، ولأن هنا جذورنا ووطننا ولغتنا وحبنا، أعلن إطلاق يوم ١١/٢٩ من كل عام احتفالاً سنوياً باسم «أيام دمشق للإبداع الفني»، وسنبدأ من الآن للتحضير للعام القادم.

ثوابت لا تتغير

وقال باسل الخطيب إننا قدمنا عمل حرائر في عام ١٩١٥، واليوم المرأة السورية اختلفت لكن بقي عندها ثوابت لا تتغير، وهي اليوم قادرة على الحب والعطاء والتضحية وتحمل كل المآسي، لذا فإن عملنا القادم سيكون حرائر ٢٠١٥ ليتحدث عن المرأة السورية اليوم.

مكانة خاصة

وأشارت ميسون أبو أسعد إلى أن تكريم اليوم له مكانة خاصة في قلوبنا لأنه آت من جمعيات أهلية ومدنية، وشيء جميل أننا مستمرون رغم هذه الظروف، والتكريم له معنى كبير، وأشعر أن المواد التي أسستها ماري عجمي مستمرة، فنحن لم نتحدث في المسلسل عن شيء كان، بل مستمر.

تاريخي شامي

«حرائر» مسلسل تاريخي وبيئي شامي مؤلف من ثلاثين حلقة مترابطة ومحبوكة بطريقة سلسة وبسيطة، ويسلط الضوء على مرحلة تاريخية مهمة من تاريخ سورية ما بين ١٩١٥–١٩٢٠ التي تزامنت مع خروج الاستعمار العثماني ودخول الاستعمار الفرنسي ليضيء على شخصيات تاريخية مهمة كان لها وقعها على مسار الحياة من خلال استحضارها، ليحشد العمل نساء كثيرات، منهنّ نماذج نسائية حقيقية، ومنهنّ نماذج متخيّلة مرتبطة بالسياق التاريخي.
وواضح من العنوان أنه يتحدث عن نساء ناضلن من أجل الحرية عبر شرائح ضمت الأديبة والكاتبة والمرأة المجاهدة حتى وإن كانت بسيطة في درجة تعليمها، ليتحدث عن الشام ليس من خلال القصة والشخصيات النمطية التي تقدم الابتسامة فقط، إنما هناك مشروع معنى بالتاريخ الدمشقي وإظهار الجوانب الحضارية فيه.
ويوثق للحركة الفكرية والثقافية والنسائية في دمشق مطلع القرن العشرين ودور النساء في الإعلام والصحافة دون أن تكون الحكاية الرئيسية في العمل موثقة.

قيمة معرفية

تدور الأحداث في دمشق في حين كان الفرنسيون على الأبواب، عبر حكاية من شقيّن، الأول تاريخي وتوثيقي، والثاني افتراضي، يتناول الأول شخصيات نسائية دمشقية معروفة، مثل نازك العابد (١٨٨٧–١٩٥٩)، وماري عجمي (١٨٨٨–١٩٦٥) اللتين كان لهما دور رائد في النهضة الاجتماعية وحركة التنوير مطلع القرن العشرين.
وثمّة شخصيات درامية أوجدت، لتكون الحامل الرئيس للأحداث والعلاقات، والتمازج بين الخطّين التوثيقي والافتراضي.
هذا ما يشكّل قصّة «حرائر»، ليكون العمل بمثابة تحيّة للدور التنويري الذي قامت به المرأة السورية خلال تلك الفترة.
ويحمل النص قيمة معرفية، من خلال تناوله حقبة تاريخيّة تفاصيلها غير معروفة، أو معروفة ولكن بشكل غير دقي، والأهم من ذلك أن العمل يقول «إن الصور التي روّجت لبلاد الشام بأنها مجتمع مغلق وقاتم، كانت مغلوطة»، ليكون أشبه بالمرافعة أو الدفاع عن صورة المرأة الشاميّة التي قُدّمت في دراما البيئة كسجينة الجدران الأربعة.
ويقدم صورة متفائلة للمرأة من حيث فاعليتها في الحياة، وتقديم نماذج من إسهاماتها الحقيقية في تطوير المجتمع، ومن ضمن الحكايات التي يرصدها العمل رحلة امرأة يتوفى زوجها وتتعرض لمجموعة من الضغوط، لكنها تقاوم لتكون شاهدة على حراك اجتماعي حقيقي للمرأة، وهناك محاولة لإنصاف تاريخي موثق بتفاصيل الحياة الدمشقية.

شخصية متخيلة

تشكّل شخصيّتا ماري عجمي ونازك العابد وهما رائدتا النهضة الاجتماعية وحركة التنوير في الشام مطلع القرن الماضي مدخلاً إلى قصّة شخصيّة متخيّلة هي «بسيمة» التي تقرّر كسب رزقها وتعليم ابنتيها بعد وفاة زوجها، لتواجه وحدها انتهازيّة وذكوريّة شقيقه «صبحي»،
تؤثر الشخصيتان الحقيقيتان، في حياة «بسيمة» التي لفتها مجتمع النساء الحقوقيات، والمتعلمّات، وساعدها الاحتكاك بهن على تحقيق نقلة كبيرة جداً، كسيدة دمشقية، تحدّت ظروفها، وظروف عائلتها، ورفضت الخنوع، أو الاستكانة للمعايير الاجتماعية السائدة آنذاك، لتحقق كيانها الخاص.
ترسل الأرملة بناتها إلى مدرسة خاصة في بيروت للتعلم في محاولة لانتشالهن من واقع يُفرض من بعض الرجال المتنفذين، لكنها لم تخل من التناقضات، فقد وافقت هذه المرأة الواعية على زف ابنتها القاصر في زواج مبكر، ووافقت على الزواج من شاب يصغرها.
وبعيداً عن المثاليّة المفرطة، يظهر العمل نماذج أخرى لنساء خانعات مثل «فايزة» التي توافق على كلّ ما يقوم به زوجها، ولا تملك سوى البكاء للاعتراض على ظلمه.

وأيضاً الرجال

بالمقابل يصور المسلسل شخصيات لرجال كانت لهم وقفتهم المتنورة، كما هي الحال مع شخصية «سعيد» الذي رفض نهج والده المتخلف المزواج في حل الأمور، وشخصية «عبدو» القادم من حرب دموية ويحمل في قلبه الكثير من الحزن والشموخ، أتى ليقف مع شقيقته التي كادت كرامتها أن تُداس ممن تزوج بها في ظل سكوت الجميع، فكان هو الأخ المدافع عن المرأة وحقوقها، فوقف إلى جانبها مؤكداً على رسالة عمد المسلسل إلى إيصالها، وهي وجود رجال متنورين يدافعون عن المرأة، كما أن هناك نساء متنورات نادين بأهمية حرية واستقلال المرأة وعدم تبعيتها لأي كان.

رمية زهر.. فن القصة

المحرر الثقافي

صدر عن دار دايمون الجديدة بدمشق عدد من المجموعات القصصية والروائية للكاتب لؤي عبد الإله، وفي صدورها دفعة واحدة منجمة على مجموعات ما يؤذي الإصدارات، فما من إشارة إلى تاريخ هذه المجموعات في الطبعة الأولى أو غير ذلك، وما من وجود للكاتب وإسهاماته وأنشطته، وأزعم أن هذه المجموعات هي نتاج مرحلة متطاولة من الكتابة، وإن كانت قد صدرت دفعة واحدة في الدار المؤسسة لتشجيع المنتج الأدبي وفق هوية محددة، وقفت عند هذه المجموعات لأقدمها جملة، ثم وجدت فوارق سأشير إليها تباعاً، لذلك فضلت أن أعرض لها بشكل منفصل لما فيها من تباين واختلاف، ودلائل على مراحل كتابة هذه النصوص.
«رمية زهر» مجموعة قصصية، تاريخ طباعتها الأول غير مدرج، وطبعتها الثانية ٢٠١٥ في الدار التي أصدرتها، وتاريخ الطبعة الأولى يعني كثيراً، وتدرج المجموعات يعني كذلك عندما تخضع هذه المجموعات للنقد ودراسة التطور الفني والفكري لكاتبها... وفي رمية زهر جمع القاص عشر قصص قصيرة هي «عائلة فقيرة، لعبة المرايا، العودة الأبدية، رمية زهر، حافة الوهم، سر الأفعى، أحمر.. أسود، غبار الذهب، دروس قديمة، شرق– غرب» وقد اختار القاص اسم إحدى القصص ليطلقها على مجموعته كاملة مع ما في هذا الاختيار من رؤية عاطفية للأقرب من قصصه، أو رؤية فنية للأكثر نضجاً بحكم المؤلف، أو رؤية تشويقية من حيث العنوان.. ومن قراءة المجموعة يظهر المؤلف من جيل سابق قرأ القصة التقليدية وتأثر بها من جي دي موباسان إلى تشيخوف، مع جولة فكرية في الأساطير القديمة ودلالاتها.. فنحن أمام قصة محددة المعالم، استفادت من الحداثة ولم تخرج عن إطار القصة الكلاسيكية المنطلقة وفق تسلسل سلس ومتصاعد حتى الخاتمة، كما في عائلة فقيرة أولى القصص، وفي قصة «رمية زهر» التي اختار اسمها عنواناً للمجموعة نقف أمام قاص يحشد معارفه، ويقدم محاكمات عديدة أمام القارئ، وكأن القارئ أمام نص لمحاضرة أو محاكمة عقلية، مع أن الفكرة لا تحتمل ذلك، ولو قدمت بطريقة أبسط لكانت أكثر قرباً ووصولاً إلى القارئ... وكذلك الأمر في «شرق– غرب» حيث لجأ الكاتب إلى معالجة معضلة لقاء الشرق والغرب لا كما عالجها «الطيب صالح في موسم الهجرة إلى الشمال» ولكن آثر أن

يعالجها منطلقاً من مسلّمات، لا تخرج النتائج عنها! لذلك قلت: إن التاريخ مهم في الطباعة للطبعة الأولى، والتدرج في المجموعات ليعطي حكماً سليماً، ولا يجعلني أذهب إلى التخمين بأن هذه المجموعة هي الأولى، أو من المجموعات الأولى للقاص، والتي تشكل البواكير التي تبدو من تدخل القاص في كل تفصيلة من تفاصيل الحدث ليسيره كما يشاء... وفي «سر الأفعى» وقفت على لازمة غريبة، لا أدري إن كان الكاتب يقصدها، ولكن إن كان يقصدها فقد أفقدت القصة الكثير من الألق والمفاجأة، فقد بدأت القصة «ستظل» بسين الاستقبال، ثم (ستنتهي، ستوقفنا، ستقضي، سيظل، ستضج، سيحتفي» فكل مقطع من مقاطع القصة في صفحاتها القليلة يبدأ بسين الاستقبال، ما عزز تدخل الكاتب لرواية قصة، وضعت أختها خاتمتها، وهو في أعماقه يشك في صحتها!!
غلب على المجموعة القصصية الوصف واللغة الجميلة والإستطرادات المعرفية والعلمية التي تفسد القص، فالقص متعة وحكاية قبل أن يكون معرفة، ففي العودة الأبدية يختم القصة «فاتني أن أذكر استدراك ستيفن هوكنج.. عن لحظة بدء انقباض الكون، آنذاك ستختفي الجاذبية التي تحكم بقاء الأجسام على سطح الأرض، ما يجعلها تندفع كشظايا انفجار بركاني صوب فضاء غارق في فوضاه وهلاميته، ولن تتاح فرصة للإنسان حتى بوضع خطوة واحدة في رحلته المقلوبة عبر تيار الزمن الخيالي»!
إما أننا نقف مع التجارب الأولى: أو مع ترف القص.
«رمية زهر» إصدار جديد ثان لمجموعة قصصية من زمن القص الكلاسيكي، زمن القص الجميل.

من ظرفاء دمشق.. حسني تللو ونقطة الزيت

تللو لخالد العظم: لا أملك في خزانتي جوربين من اللون نفسه!

أنس تللو

اشتهر في العشرينيات من القرن الماضي وحتى الستينيات منه مجلس كان يدار في دار ظريف دمشق الأول فخري البارودي في محلة القنوات... وهو مجلس الظرفاء، واشتهر في هذا المجلس رجال ظرفاء عديدون، على رأسهم فخري البارودي يتبعه التلميذ الأول له والصديق البار الوفي حسني تللو، الذي كان الظريف الثاني في دمشق بعد البارودي.
حسني تللو الذي كان سيداً بارزاً من سادة مجالس النكتة، وأميراً متميزاً من أمراء الظرف وخفة الروح، كان رجلاً مكور الجسم، محمر الوجه، دائم الابتسامة حتى في المآتم... يملك لغة فريدة في عالم الظرافة، إذ يستخدم ألفاظاً منمقة، وكان بارعاً جداً في إظهار الإيحاءات الكثيرة المرافقة للطرفة التي يرويها، وذلك من خلال وجهه وعينيه الجاحظتين، وحاجبيه وخديه، وكل تقاطيع وجهه... وقد اشتهر بخفة دمه وسرعة البديهة لديه، فإذا ما تحدث بدأ القصة الطرفة بصوت هادئ رصين، ومهما كان ما يرويه مضحكاً فإنه لا يبتسم ابتسامة واحدة...
وكان رواد المجلس يتحلقون حول الطاولة التي يجلس على طرفيها كل من فخري البارودي وحسني تللو متقابلَين... ينتظر كل منهما الآخر حتى يبدأ بالكلام العادي فيحوله الثاني إلى نكتة ظريفة فيرد هذا بنكتة مثلها، ذلك أن تللو قد عُرف بمداعباته ومشاكساته ومجادلاته لأستاذه وصديقه الحميم فخري البارودي، ويتخلل ذلك بعض التعليقات الظريفة التي يطلقها الظرفاء المتابعون الذين كلما سمعوا كلمة من فخري البارودي يلتفتون جميعاً إلى تللو ليستمعوا إلى ما سيرد عليه من تعليقات ظريفة، حتى إذا ما أدلى تللو بدلوه يرد عليه البارودي... ولا يزال الناس يلتفتون يمنة ويسرة بين البارودي وتللو حتى تمضي الساعات الطوال دون أن يشعروا بالوقت.
وذات يوم وفي أحد المجالس التي أقيمت في ليلة من ليالي الشتاء الباردة، جاءت ذبابة إلى وجه فخري البارودي، وصارت تدور حوله، وحاول البارودي أن يتخلص منها فلم يتمكن، إذ كلما أبعدها بيده عادت إلى وجهه بإلحاح أكبر، ثم بعد أن أصابه الضيق تركت وجهه ووقفت على أذنه، فثار وغضب ثم صاح:
– يا ناس... يا عالم... ذبابة في عزّ الشتاء والبرد؟
نظر الناس إليه، ثم التفتوا إلى تللو ليتابعوا ماذا سيقول... فحملق به تللو ملياً، وقال بعد صمت طويل:
– ليش مستغرب فخري بك، يمكن تكون لابسة كنزة صوف.

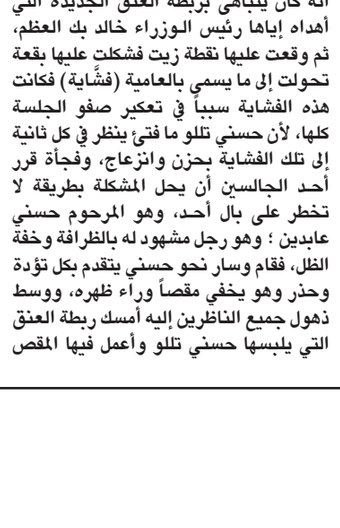
خالد العظم

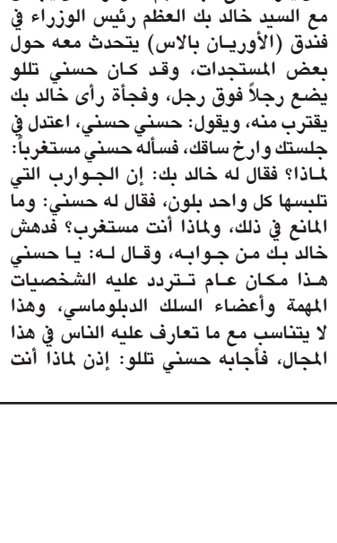
المضحك المبكي وحسني تللو

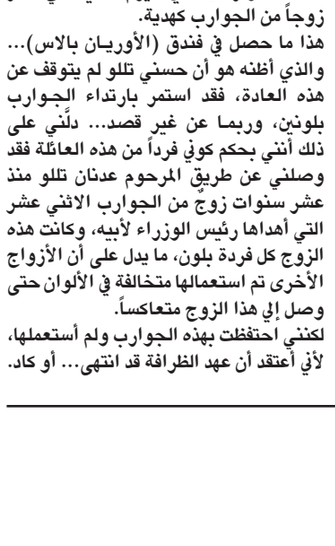
فخري البارودي

حسني تللو ونقطة الزيت

روى لي المرحوم الدكتور عدنان حسني تللو الرحالة العربي أنه قد حضر مرة مجلساً من مجالس الظرفاء في دار فخري البارودي، فقال:
في إحدى المرات دخل الناس إلى مجلس الظرفاء في دار البارودي فوجدوا المجلس على غير عادته جامداً صامتاً، ذلك أن حسني تللو الرجل الذي دوماً يشعل نار الضحك في البيت قد توقف عن الإثارة، وظهرت عليه علامات الحزن الشديد، فقد أطبق فمه ونظر إلى الأرض وخيم الوجوم على وجهه، وفشلت كل المساعي لإعادته إلى مرحه السابق، والسبب أنه كان يتباهى بربطة العنق الجديدة التي أهداه إياها رئيس الوزراء خالد بك العظم، ثم وقعت عليها نقطة زيت فشكلت عليها بقعة تحولت إلى ما يسمى بالعامية (فشّاية) فكانت هذه الفشاية سبباً في تعكير صفو الجلسة كلها، لأن حسني تللو ما فتئ ينظر في كل ثانية إلى تلك الفشاية بحزن وانزعاج، وفجأة قرر أحد الجالسين أن يحل المشكلة بطريقة لا تخطر على بال أحد، وهو المرحوم حسني عابدين ؛ وهو رجل مشهود له بالظرافة وخفة الظل، فقام وسار نحو حسني يتقدم بكل تؤدة وحذر وهو يخفي مقصاً وراء ظهره، ووسط ذهول جميع الناظرين إليه أمسك ربطة العنق التي يلبسها حسني تللو وأعمل فيها المقص فقطعها بشكل تكون فيه بقعة الزيت خارج القطعة الباقية، ثم رمى بها على الأرض...
هنا ظن الجميع أن الأمر سيتفاقم، وأنه قد تحدث مشادة أو غير ذلك بينهما، لكن على العكس، ذلك أنه من شروط الظرافة أن يتحلى الظريف بروح رياضية كبيرة، اكتسبها من جرعات الضحك الكثيرة، فالظريف يبقى ظريفاً دوماً، لذلك فقد تقبل حسني تللو الأمر بصدر رحب وبهدوء بالغ، فأسرع إلى حسني عابدين يقبل يديه ويعانقه ويشكره، ويقول سلمت يداك، والله أبعدت عني الحزن والهم، وعادت الجلسة إلى الصفاء والضحك والمرح.

حسني تللو والجوارب

كان المرحوم حسني تللو تربطه علاقات مع أصحاب الفكر والقلم ومع الوزراء، لذلك فقد كان يتردد على مجالسهم... ومرة كان يجلس مع السيد خالد بك العظم رئيس الوزراء في فندق (الأوريان بالاس) يتحدث معه حول بعض المستجدات، وقد كان حسني تللو يضع رجلاً فوق رجل، وفجأة رأى خالد بك يقترب منه، ويقول: حسني حسني، اعتدل في جلستك وارخ ساقك، فسأله حسني مستغرباً: لماذا؟ فقال له خالد بك: إن الجوارب التي تلبسها كل واحد بلون، فقال له حسني: وما المانع في ذلك، ولماذا أنت مستغرب؟ فدهش خالد بك من جوابه، وقال له: يا حسني هذا مكان عام تتردد عليه الشخصيات المهمة وأعضاء السلك الدبلوماسي، وهذا لا يتناسب مع ما تعارف عليه الناس في هذا المجال، فأجابه حسني تللو: إذن لماذا أنت تلبس جاكيتاً بلون والبنطال بلون آخر، قال له خالد بك: يا حسني إن المجتمع قد اتفق على هذا، والناس كلهم يرتدون جاكيتاً وبنطالاً بلونين مختلفين، أما حالتك أنت من ارتداء الجوارب بلونين مختلفين فهي حالة نادرة، فقال له حسني: وأنا لي مجتمعي الخاص الذي يوافق على هذا وقد رضيت بما أنا عليه من هذا الأمر، فتركه خالد بك وعاد إلى مجلسه... وأطرق حسني تللو قليلاً وبدا عليه الندم، ثم قام فاقترب من مجلس خالد بك العظم، وقال له: خالد بك، إن ما قلته لك هو تفسيري الشخصي لهذه الحالة التي أنا فيها، لكنني والله ليس عندي في درج الخزانة من الجوارب فردة تماثل أختها...
وحين سمع المرحوم خالد بك العظم هذا الجواب ضحك وضحك حتى غشي من الضحك، وأرسل له في اليوم التالي اثني عشر زوجاً من الجوارب كهدية.
هذا ما حصل في فندق (الأوريان بالاس)... والذي أظنه هو أن حسني تللو لم يتوقف عن هذه العادة، فقد استمر بارتداء الجوارب بلونين، وربما عن غير قصد... دلّني على ذلك أنني بحكم كوني فرداً من هذه العائلة فقد وصلني عن طريق المرحوم عدنان تللو منذ عشر سنوات زوج من الجوارب الاثني عشر التي أهداها رئيس الوزراء لأبيه، وكانت هذه الزوج كل فردة بلون، ما يدل على أن الأزواج الأخرى تم استعمالها متخالفة في الألوان حتى وصل إلي هذا الزوج متعاكساً.
لكنني احتفظت بهذه الجوارب ولم أستعملها، لأني أعتقد أن عهد الظرافة قد انتهى... أو كاد.